المصطلحات اللغوية في كتاب "العين"
للخليل بن أحمد الفراهيدي
قراءة في ثلاثة فهارس

د. منتصر أمين عبد الرحيم
أستاذ باحث
وزارة اللسانيات المساعد –
جامعة الطايف سابقا

توطئة

يقوم بناء أي فهرس على رصد مصطلحات مجال معين، عند مرحلة معينة، ضمن عمل يمثل ذلك المجال، وذلك بهدف استقصاء لغته الواصفة، والأصل في هذا أن يمكننا الفهرس من فهم أعمق للمفاهيم المعتمدة في هذا العمل، يمكن أن يوظف في تحليله تحليلا وافيا، إذ يعمل الفهرس على جرد مصطلحات هذه المفاهيم، وتتبع صورها، ومواضعها، وسياقاتها، ثم ترتيب هذه المصطلحات ترتيبا معينا يراعي حاجات مستعمليه. وفي حال توافرنا على عدد كافٍ من فهارس هذا المجال يمكن أن نتبين آثار هذه الألفاظ والمصطلحات في مرحلة تالية تعد تطورا عن المرحلة السابقة أو تطويرا لها.

ويعد وضع الفهرس على هذه الأوصاف والشروط عملا مضنيا يحتاج إلى فرق بحثية تشرف عليها هيئات ومؤسسات علمية مختصة؛ ومن ثم يتم التخلي عن بعض هذه الشروط ويُكتفى منها بما يتفق وغايات كل باحث من وراء تسجيل تلك المصطلحات أو بعضها، لا سيما إذا كان عمل الواضع يشكل جزءا من بحث أو دراسة تتعلق بهذه المصطلحات. وفي بعض الحالات يمكن أن يكون همّ الواضع هو التنبيه على أهمية بناء فهرس لعمل معين إذا كان يشكل علامة مميزة ضمن هذا المجال أو ذاك. إن مثل هذه الحالات رغم عدم الالتزام

بالشروط والأوصاف يمكن أن تشكل أساسا مهما وتنبيها حافزا لوضع الفهرس على صورته المأمولة. وفي هذه الورقة سأحاول تحليل ثلاثة أعمال قامت على جرد الرصيد المصطلحي الوارد في كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي تتمثل في:

- **"الفهرس الأبجدي للمصطلحات النحوية في كتاب العين"** للمستشرق رافي طلمون الذي ورد ضمن كتابه:

R. Talmon 1997: Arabic Grammar in its Formative Age: Kitab al-'Ayn and its Attribution to Halil b. Ahmad. pp. 373-421. Brill.

- **"مسرد المصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة كتاب العين للخليل"** للدكتور أحمد محمد قدور ضمن كتابه الصادر سنة 2001 بعنوان **"اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي"** عن دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى، (ص51: 55). وقد قدمه الدكتور قدور سابقا ضمن كتابه **"أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين"** الصادر عن دار الفكر بدمشق في طبعتين الأولى سنة 1998، والثانية سنة 2003 (ص67: 81).

- **"كشاف الاصطلاحات اللغوية للخليل بن أحمد الفراهيدي"** للدكتور خالد اليعبودي الصادر سنة 2018 ضمن بحوث مجلة **"مصطلحيات"** العدد العاشر (ص69: 108).

1 – ملحوظات أولية:

بداية نلاحظ من خلال عناوين هذه الأعمال أن أولها معني بالمصطلحات النحوية الواردة في "العين"، والثاني بالمصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة هذا الكتاب. أما العمل الأخير فيروم تقديم جرد شامل لمجموع المصطلحات اللغوية الواردة في هذا الكتاب؛ إذ اشتمل على تلك المصطلحات موزعة على مباحثها (الصوتية، والصرفية، والنحوية) بالإضافة إلى مصطلحات فقه اللغة والمصطلحات البلاغية ومسرد بالأبنية الواردة في "العين" وانتهى بمصطلحات الأحكام المعيارية.

وقد يبدو العنوان الذي اختاره "طلمون" لفهرسه غير دقيق بالنسبة إلى ما تضمنه من مصطلحات صوتية وصرفية ونحوية، ولكن هذا العنوان يرتبط برؤية طلمون للعناصر أو المستويات التي يقوم عليها التحليل النحوي عند الخليل وهي: الصوت والصرف والنحو. ومن الجدير بالذكر هنا أن هذا الفهرس أتبعه طلمون بفهرس لعيوب اللغة[1] وآخر بالتعبيرات الدالة على الأحكام المتصلة بمدى انتشار لفظ أو تعبير معين، مثل الحكم بأنه: كثير، قليل، مطرد، ليس بمعروف[2]، ثم فهرس ثالث بالأحكام المعيارية المتعلقة بالصيغ اللغوية[3].

وإذا عدنا إلى **مسرد المصطلحات الصوتية في مقدمة العين** يمكن أن نقول إن هذا العمل محدود الفائدة؛ لأن اقتصاره على مصطلحات المقدمة وحدها لا يعكس بأي حال من الأحوال صورة شاملة لخصوصية المصطلحات الصوتية لدى "الخليل" حتى إذا التزم جميع المعايير المصطلحية والمعجمية، وإن كان من عذر في هذا فربما تكون إشارة محققي كتاب العين – الواردة تحت عنوان "منزلة كتاب العين في تاريخ علم اللغة" – إلى أن "مقدمة "العين" مادة غزيرة في علم الأصوات العربي وعلم وظائف الأصوات، وهي بهذا تعدّ من أهم الوثائق في علم اللغة التاريخي؛ وذلك لتقدمها ولأن صاحبها مبتدع مؤسس لم يأخذ علمه هذا عن معاصر له أو سابق عليه"[4]، أو ربما ما ذكره الدكتور قدور نفسه في كتابه سابقا على هذا المسرد من النص على أن "المصطلحات الصوتية الواردة في (مقدمة) كتاب "العين" مصطلحات عربية المصدر لغة ومعرفة؛ لأنها تخلو من التأثر بأي علم أجنبي ترجم إلى العربية، وهي كذلك مصطلحات رائدة لا

(1) R. Talmon 1997: op. cit. p.422.

(2) R. Talmon 1997: op. cit. p.422-3.

(3) R. Talmon 1997: op. cit. p.424-6.

(4) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت، 1/ 14.

نعرف لها أساسا متقدما، وهي مصطلحات حية أيضا إذا تداولها العلماء"[5]. إن هذه الأوصاف التي أحيطت بها مصطلحات (المقدمة) تصدق كذلك على مثيلاتها مما ورد في غير موضع من ذلك السّفر الكبير، وليت هذه الكلمات قد استثارت دافعا لعمل أشمل يأخذ بعين الاعتبار مكانة كتاب "العين" ودوره التأسيسي في علم الأصوات العربي، ولكن إذا قصد الدكتور "قدور" من وراء عمله هذا أن يكون نواة لأعمال لاحقة أكثر إحاطة فهذا مقبول غير أنه مردود على الأقل بظهور عمل طلمون الذي سبق هذا المسرد بحوالي خمس سنوات.

حين تفتش عن نسخة كتاب "العين" وطبعته التي اعتمدت عليها هذه الأعمال ستجد أن العملين الأول والثاني يعتمدان على النسخة التي حققها الأستاذان "مهدي المخزومي" و"إبراهيم السامرائي". أما العمل الثالث للدكتور "اليعبودي" فقد ذكر أنه اعتمد على نسخة إلكترونية من كتاب العين مدونة بمركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي 1999: "مكتبة المعاجم وغريب المصطلحات" بعمان الأردنية، ولكني أرجح من خلال المقارنة أنها لا تختلف عن الطبعة المحققة السابقة.

2 – البناء والترتيب

شغل الفهرس الأبجدي للمصطلحات النحوية في كتاب "العين" حوالي تسع وأربعين صفحة من كتاب طلمون (373– 421)، وقد رتبت مصطلحاته وفق جذورها المشتقة منها، بعد ذكر الجذر وسط السطر يأتي المصطلح أو عدد من المصطلحات المشتقة منه، كل منها على سطر منفرد متبوعا بمعانيه أو مشتقاته والدرس أو الدروس التي ينتمي إليها بين معقوفين، بعدها وعلى سطر ثالث يعدّد طلمون مواضع ورود المصطلحات ضمن مجلدات الكتاب؛ رقم المجلد بخط ثخين، ثم رقم الصفحة أعلاه عدد مرات ورود المصطلح بهذه الصفحة،

(5) د. أحمد محمد قدور 2001: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، (بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر)، الطبعة الأولى، ص 50.

وبعده شرطة حال ورود المصطلح ضمن صفحتين متتاليتين على الصورة: 3 45 2 – وبدون هذه الشرطة أو العدد أعلى رقم الصفحة لما يرد مرة واحدة في تلك الصفحة، وقد بدأ الفهرس بالمصطلح (أَخْذٌ) وانتهى بالمصطلح (موافق ومتفق).

أ د و

أداة [أقسام الكلام]

1 48 — (دارج)؛ 320 **3** 210 – ؛ 285؛ 309– ؛ 352– . **5** 414 . **7** 302 (دارج). **8** 135؛ 143– ؛ 375[6].

أما مسرد المصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة كتاب العين للخليل فقد شغل نحو خمس صفحات (51– 55)، رتبت مصطلحاته ترتيبا ألفبائيا، بحيث يأتي المصطلح أولا متبوعا بموضعه من المقدمة، وقد بدأ المسرد بالمصطلح (أحرف) وانتهى بالمصطلح (يفتح فاه).

يتفق العمل الثالث **كشاف الاصطلاحات اللغوية** للدكتور "خالد اليعبودي" مع عمل الدكتور "قدور" في ترتيب المصطلحات ألفبائيا، ولكنه يختلف عنه في عدة من الأمور المهمة منها محاولته تغطية جميع المصطلحات الواردة في كتاب "العين"، وقيامه بتقسيم هذه المصطلحات على المباحث التي تنتمي إليها؛ فبدأ بالمصطلحات الصوتية (ص72– 79) ثم الصرفية (ص80– 85) ثم النحوية (ص86– 91) بعدها مصطلحات فقه اللغة (ص92– 93) فالمصطلحات البلاغية (ص94 — 95)، فكشاف أبنية كتاب "العين" (ص96– 105)، وأخيرا المصطلحات الدالة على الأحكام المعيارية (ص106– 108)، وهذا التقسيم لا تجده في العملين الآخرين، هذا بالإضافة إلى استعماله الهوامش

(6) see R. Talmon 1997: Arabic Grammar in its Formative Age: Kitab al-'Ayn and its Attribution to Halil b. Ahmad. p. 373. Brill.

استعمالا جيدا في شرح بعض المصطلحات أو تعريفها أو التمثيل لها، أو المقارنة بينها وبين بعض المصطلحات الأخرى الواردة في الكتاب، وفي القليل تتضمن الهوامش عبارات الخليل التي تتصل بالمصطلح وتوضح معناه. وقد بني هذا الكشاف على ثلاثة أعمدة؛ الأول يتضمن ترقيم كل مصطلح مما يجعلنا قادرين على إحصاء مصطلحات كل قسم من أقسامه، والثاني يمثل المصطلحات بترتيبها الألفبائي. أما الأخير فيتضمن مواضع المصطلحات، كل بجزئه وصفحاته.

3 – الفهرس الأبجدي لطلمون

إن مجرد النص على المواضع التي ورد فيها المصطلح على الطريقة التي جاءت في هذا الفهرس يشبه تلك الآلية التي اعتمدها "جيرار تربو Gérard Troupeau" في المعجم المفهرس لكتاب "سيبويه" Lexique-index du Kitab de Sibawayhi المنشور سنة 1976، وهي تحتاج من المستعمل الرجوع إلى المصدر الأصلي بغية تحصيل المفهوم الذي يسميه، وإذا قارنا هذه الطريقة بطريقة "نفتالي كينبرج Kinberg, N." في فهرسة مصطلحات كتاب معاني القرآن للفراء A Lexicon of Al-Farra's Terminology in his Qur'an Commentary الصادر سنة 1996 – أي قبل عام من صدور كتاب "طلمون" – نجد أن طريقة "كينبرج" – على ما عليها من ملحوظات الحشو والتكرار والتكديس وغيرها– تضع أمام المصطلح السياقات والنصوص التي ورد ضمنها، لتأكيد معانيه.

ربما يكون ترتيب المصطلحات النحوية الواردة في كتاب الخليل على هذه الطريقة أسلوبا يتبعه طلمون في رصد المصطلحات التراثية، بيد أني لم أحصل على نسخة من دراسته لكتاب "مقدمة في النحو" المنسوب إلى خلف الأحمر، الصادرة سنة 1990، حيث قام بدراسة الكتاب وفهرسة مصطلحاته، ومن المحتمل أيضا أن يكون الترتيب متعلقا برؤيته حول "اضطراب" المصطلح لدى الخليل وسيبويه بين المعنى الاشتقاقي والمعنى الاصطلاحي، أو بتفسيره لتلك العلاقة بين المعنيين الذي تستنتجه من قوله: "في اختلاف مفهوم المصطلح عن

معناه الاشتقاقي دلالة على التطور، قد يعلله البعض بأنه الثمرة الناضجة التي مضت عليها فترة طويلة من الزمان حتى استوت ... ويمكننا أن نفسر هذا الاختلاف في بعض المصطلحات على وجه آخر، دون أن نلجأ إلى الاستدلال بالتطور المستمر الطويل الأمد، بل نفترض استعارة المعنى الاصطلاحي عن حضارة أجنبية أو علم آخر من علوم الحضارة ذاتها"[7]، وهذا التفسير يتعلق برؤيته الثابتة حول طبيعة فترة تأسيس النحو العربي قبل الكتاب والعين.

ورغم ما يبدو عليه إحصاء تلك المصطلحات من الدقة في فهرس "طلمون" فإنه لا يخلو من الاعتماد على التسمية دون المفهوم، فعلى سبيل المثال ورد المصطلح (أداة) بحسب طلمون إحدى عشرة مرة، منها ما ورد في الجزء الأول ص320، وعند الرجوع إلى هذا الموضع تجد المصطلح ضمن قول الخليل: "والمسعط: الذي يجعل فيه الدواء، على مفعل، لأنه أداة"[8]، والفرق بين مفهومي التسميتين باد لا يحتاج مزيد إيضاح، كما هو قول الخليل: "والسّانية: اسم الغرب وأداته، والجمع السواني"[9]. فإذا كان "الخليل" يستعمل "المصطلح" بمعانيه الأصلية بحكم أن كتابه في أصل خصوصه "معجم" فقد كان على "طلمون" أن يستبعد هذه الاستعمالات التي لا تتفق مع ما ورد في بقية المواضع التي استقصاها، أو تلك التي قام بتحليلها في مواضع أخرى من الكتاب. ومن مثل هذا أيضا مصطلح (أسلة اللسان) إذ أشير إلى موضعه[10] بقول "الخليل": "والعذبة في البعير أسلته"[11].

إن مجالات بعض المصطلحات لدى "الخليل" أو جُلها متشعبة ومتعددة وبالتالي يحتاج حصر المصطلح ضمن مجال معين تدقيق النصوص واستقصاء

(7) رافي طلمون 1984: التفكير النحوي قبل كتاب سيبويه – دراسة في تأريخ المصطلح النحوي العربي، مجلة الكرمل أبحاث في اللغة والأدب، العدد الخامس (ص37: 53)، ص44.

(8) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 1/ 320.

(9) السابق، 7/ 302.

(10) R. Talmon 1997: op. cit. p.373.

(11) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 2/ 103.

السياقات التي ورد فيها، وقد أخطأ واضع الفهرس حينما قصر مصطلح (التأسيس) على الاشتقاق – وبالتالي على التصريف – وجعل من بين سياقاته[12] قول الخليل: "والرس في قوافي الشعر: صرف الحرف الذي بعد الألف للتأسيس نحو حركة عين فاعل في القافية"[13]، فالخليل جعل هذا الموضع خاصا بالعروض والقوافي، وبالتالي فـ"ألف التأسيس" بكل خاصياته مصطلح عروضي، وهذا ما قد أشار إليه طلمون نفسه في موضع سابق من كتابه[14].

وفي بعض الأحيان يضع "طلمون" المصطلح موضعا من الكتاب لا تجد فيه هذا المصطلح بالمعنى الذي جُعل له، ومن ذلك مصطلح (التأويل)، وقد جعله مخصوصا بالاشتقاق في موضعين: أولهما تجده في قول الخليل: "وكان الحسن يقرأ (إلا من خطّف الخَطْفَة) على تأويل: اختطف اختطافة، جعل المصدر على بناء خَطِفَ يخطَفُ خَطفَة كما تقول من الاختطاف اختطافة"[15]، والثاني قول الخليل: "والتأول والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه"[16] – وهو فيه بغير ما خصه من الاشتقاق.

ولا شك في أن ما ألمحتُ إليه قد نراه يتكرر في مواطن أخرى من فهرس طلمون، ويبقى أن أشير إلى أن النظام المتبع في هذا الفهرس؛ أي ترتيب المصطلحات ترتيبا جذريا – وإن كان يناسب فخامة كتاب العين– فإنه يصعب على طالب المصطلح مقارنة بالنظام الألفبائي المتبع في مسرد الدكتور قدور وكشاف الدكتور اليعبودي، لأنه قد لا يفصل بين المعاني المختلفة للمصطلح الواحد، ويخلط بينها.

وإن كان من كلمة تقال في حق عمل طلمون فهي أنه جمع عددا لا بأس به من المصطلحات المهمة التي لا تجدها في عملي الدكتور قدور والدكتور

(12) R. Talmon 1997: op. cit. p.373.

(13) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 7/ 190.

(14) R. Talmon 1997: op. cit. p.117.

(15) الخليل بن أحمد الفراهيدي: السابق، 4/ 221.

(16) السابق، 8/ 369.

اليعبودي، ورغبة في بيان سياقات هذه المصطلحات سأضع أمام كل مصطلح النص الذي ورد ضمنه، ممثلا لبعض هذه المصطلحات التي تفرد بإحصائها بما يلي:

أخذ [بمعنى الاشتقاق]

- والخيل جماعة الفرس، لم **تُؤخَذ** من واحد مثل النبل والإبل[17].
- وقالوا الصلخدم **أُخِذَ** من الصلخم. الدال زائدة أم الميم[18].
- ويقال: الكلابَ على البقر، نصب، **مَأخُوذ** من صيدهم البقر الوحشية بالكلاب[19].

أخَّر [خلاف: قدّم؛ صرفي]

- والأصل مألك فقدموا اللام وأخروا الهمزة فقالوا ملأك[20].

أختان [تصنيف الحركات؛ صوتي]

- ولكن لما صارت الكسرة والضمة أختين واشتركتا في مواضع كثيرة دخلت الكسرة مدخل الضمة[21].

أداة [أقسام الكلام]

- فالثنائي على حرفين نحو: قد، لم، هل، لو، بل، ونحوه من الأدوات والزجر[22].
- حيث، الثاء مضمومة، وهو أداة للرفع يرفع الاسم بعده[23].

---

(17) السابق، 4/ 306.
(18) السابق، 4/ 330.
(19) السابق، 5/ 361.
(20) السابق، 5/ 380.
(21) السابق، 7/ 214.
(22) السابق، 1/ 48.
(23) السابق، 1/ 285.

– وكل حرف أداة إذا جعلت فيه ألفا و لاما صار اسما، فقوي و ثقل[24].

تأسيس [أصل –؛ بناء؛ في الاشتقاق]

– القحو **تأسيس** الأقحوان[25].

– والاسم أصل تأسيسه: السمو[26].

– وتفسير الأم في كل معانيها: أمة لأن تأسيسه من حرفين صحيحين[27].

دغمة [صوتي؛ صرفي]

– **والدغمة** اسم من إدغامك حرفا في حرف[28].

4 – مسرد المصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة كتاب العين للخليل

كان الدكتور قدور قد ذكر أن مقدمة كتاب العين تضم بحسب إحصائه "نحوا من مئة وسبعين مصطلحا أو عبارة اصطلاحية، في مجال علم الأصوات بفروعه المختلفة، وفق التصنيف الحديث كما سيتضح لاحقا"[29]. والحقيقة أن الفهرس المقدم جمع على وجه التحديد مائة وأربعة وستين لفظا فقط من ألفاظ المصطلحات الصوتية، وأقول لفظا؛ لأن تكرار موضع المصطلح لا يعني بالضرورة أننا أمام مفهوم جديد مختلف، فالمرصود بالنسبة إلى الشفتين على سبيل المثال هو "الشفة، والشفتان" ومنه أوصاف مثل: "شفهية، وشفوية، وثلاثة شفوية، والحروف الشفوية"، وكذلك بالنسبة إلى "أحياز" و"حيز" و"حيز واحد" إنما هي تنويعات لمفاهيم مترادفة أو تسميات لمفهوم واحد، وهنا ربما يكون النظام المتبع لدى طلمون – من منظور مصطلحي – أفضل من النظام

(24) السابق، 3/ 352.

(25) السابق، 3/ 255.

(26) السابق، 7/ 318.

(27) السابق، 8/ 433.

(28) السابق، 4/ 395.

(29) د. أحمد محمد قدور 2001: مرجع سابق، ص42، 43.

الألفبائي، ولكن طالما أننا في سياق فهرسة تضع كل لفظ موضعه فلا بأس بما ورد.

أما بالنسبة إلى الإيضاح الذي وعد به الدكتور "قدور" المتعلق بإمكان توزيع هذه المصطلحات على فروع علم الأصوات وفق التصنيف الحديث فلم أجد عليه أي دلائل أو إشارات واضحة تؤكد عبارتُه كما سيتضح لاحقا، ولعل ما ذكره الدكتور قدور من أن المقدمة قد ضمّت "مبادئ علم الأصوات النطقي كالحديث عن جهاز النطق وأعضائه، وتحديد المنظومة الصوتية، والانتباه إلى مبدأ اللغة الصوتي، وتقسيم الأصوات إلى صوامت وصوائت، كما ضمت مبادئ علم الأصوات التشكيلي كائتلاف الحروف، والصفات التركيبية، وصوغ الكلمات حكاية للأصوات الطبيعية"[30] لا يقوى عمليا على أن يكون بنفسه دليلا، لا سيما إذا أمعنا النظر في المسرد الذي صنعه لمصطلحات تلك المقدمة، وأرجح أن السبب في هذا يكمن في أن مصطلحات مقدمة "العين" لا تكفي وحدها للوفاء بهذا التوزيع، والدليل على ذلك يمكن تمثيله بما قدمه الدكتور "عمرو محمد فرج مدكور" في دراسته الموسومة بـ **"المصطلح الصوتي في معجم العين للخليل بن أحمد"** إذ كان معنيا بمثل هذا التوزيع؛ فقسم المصطلحات الواردة في كتاب "العين" على ثلاث أقسام رئيسة، هي "المصطلحات العامة"، و"مصطلحات علم الأصوات النطقي" بما فيه من "مصطلحات المخرج"، و"مصطلحات أعضاء النطق"، و"مصطلحات الصفات"، وتناول في القسم الأخير "مصطلحات علم الأصوات الوظيفي"، وسواء في هذه الحال إن حاولنا توزيع المصطلحات الواردة في مسرد الدكتور "قدور" على هذه الأقسام، أو قارنا مصطلحات هذا المسرد بمثيلاتها مما ورد في دراسة الدكتور "مدكور"[31]، فالنتيجة أن مصطلحات المقدمة وحدها لن تستوفي هذا التوزيع على طريقته

(30) السابق، ص43.

(31) انظر ملحق المصطلحات ضمن دراسة د. عمرو محمد فرج مدكور 2011: المصطلح الصوتي في معجم العين للخليل بن أحمد، مجلة علوم اللغة، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، (القاهرة: دار غريب) ص79: 81.

المثلى، حتى إذا كان جميع ما أثبته الدكتور قدور يدور في فلك علم الأصوات، ولكن الحقيقة غير هذا.

أثبت الدكتور قدور ضمن مسرده بعض المصطلحات التي لا تنتمي إلى علم الأصوات، ولم يكن سياقها ضمن المقدمة هو الحديث عن الأصوات أو ما يتعلق بها، فعلى سبيل المثال أثبت الدكتور قدور تعبير **(فصارت الياء)** ضمن المصطلحات الصوتية، ولم يثبته طلمون أو الدكتور اليعبودي، ربما لأنه لا تشتم منه رائحة المصطلح، وقد ورد في كتاب العين في قوله: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانت، **فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح"**[32]، وهذا المصطلح ضمن نصه وسياقه لا علاقة له بعلم الأصوات، فالمفهوم منه هو خروج الياء والواو والألف عن الحروف الصحيحة لتكون ضمن "حروف العلل"، كما اصطلح عليها الخليل في كتابه. وهذا يأخذنا إلى الحديث عن المصطلح التالي.

مصطلح **(معتل)**: حصر د. قدور وُرود هذا المصطلح في موضع واحد في الصفحة 55، وقد ورد في مواضع أخرى ضمن المقدمة سابقة على هذا الموضع ولاحقة به؛ إذ ورد بحسب طلمون في الصفحات 47، 50، 54، 59. وقد أحصيت له المواضع التالية (47، 55، 56، 57، 59 [حروف العلل]، 60)، والملاحظ أن طلمون لم ينسب هذا المصطلح إلى علم الأصوات، وجعله مصطلحا صرفيا؛ فقد ورد في سياق الحديث عن الألفبائية العربية والطريقة التي انتهجها الخليل في ترتيب حروف معجمه، وذلك في قوله "فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدأ التأليف من أول ا، ب، ت، ث وهو الألف، لأن الألف **حرف معتل"**[33]، وورد أيضا في قوله: "والعرب **تشتق** في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي المثقل بحرفي التضعيف ومن **الثلاثي المعتل"**[34]، وجاء

(32) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 1/ 52.

(33) السابق، 1/ 47.

(34) السابق، 1/ 56.

في تفسير الثلاثي الصحيح "أن يكون ثلاثة أحرف ولا يكون فيها واو ولا ياء ولا ألف [لينة ولا همزة] في أصل البناء، لأن هذه الحروف يقال لها حروف علل"[35]، وجميع هذه السياقات تدل على أن الوصف "معتل" إنما هو للصوت والبناء على السواء، وبالتالي يمكن نسبته إلى علمي الأصوات والصرف.

وقد حصر الدكتور مدكور معنى هذا المصطلح – معتمدا على شاهدين اثنين – في مفهوم الأصوات (ا، و، ي) مقابل الأصوات الصحيحة[36]. إذ جعل المصطلح (معتل) مرتبطا في معناه بالمصطلح (حروف علل أو حرف معتل)، لكننا في سياق بناء فهرس علينا أن نفصل بين "حرف معتل" وبناء "معتل"، وربما يجب علينا أيضا أن ننتبه إلى أن هذا الفهرس في حال كحالة كتاب العين فهرس من منظور تاريخي؛ بمعنى أننا لا نحتاج في تسجيل ألفاظه إلى إسقاطات خاصة بتطور مفهوم المصطلح وصورته الحالية على صورته ومعناه الأول.

كما أثبت الدكتور قدور مصطلح **"المضاعف"** ضمن المصطلحات الصوتية، وذكر له ثلاثة مواضع من المقدمة (55، 56، 57)، ولم يثبته الدكتور اليعبودي، إنما أثبت مصطلح "التضاعف" ضمن مصطلحات المقدمة 56/1. أما طلمون فلم يثبت هذا المصطلح في الأجزاء الأولى من الكتاب وسجله في الجزء الثالث والرابع والخامس؛ أي بعيدا عن المقدمة، ولكنه أحسن تصنيفه إذ جعله واقعا في إطار علم الصرف، والدليل على ذلك – ويحسن هنا أيضا أن نعود إلى سياقات المصطلح – قوله:

– وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزلزلة[37].

– والمضاعف في البيان في الحكايات وغيرها ما كان **حرفا عجزه مثل حرفي صدره**[38].

(35) السابق، 1/ 59.

(36) د. عمرو محمد فرج مدكور 2011: مرجع سابق، ص66.

(37) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 1/ 55.

(38) السابق، 1/ 55.

- ويجوز في حكاية المضاعفة ما لا يجوز في غيرها من **تأليف الحروف**، ألا ترى أن الضاد والكاف إذا ألفتا فبدئ بالضاد فقيل "ضك" كان تأليفا لم يحسن في أبنية **الأسماء والأفعال** إلا مفصولا بين حرفيه بحرف لازم أو أكثر [39].

- **وأما ما يشتقون من المضاعف من بناء الثلاثي المعتل فنحو قول العجاج ..** [40].

- والعرب **تشتق** في كثير من كلامها **أبنية المضاعف** من **بناء الثلاثي المثقل** بحرفي التضعيف، ومن الثلاثي المعتل[41].

وجميع هذه السياقات تفصح بوضوح عن أن مصطلح "المضاعف" خاص بالأبنية لا الأصوات.

ومن الأمور اللافتة أن الدكتور عمرو مدكور ذكر هذا المصطلح ضمن المصطلحات الصوتية وقد علّق عليه قائلا: "استخدم الخليل المصطلح بمفهوم **الكلمة التي تكرر فيها صوتان مثل صلصلة**، والأمثلة التي ساقها الخليل هي **وزن فعلل المضاعف** (زلزل) ومصدره بإزاء مصطلح (**مُضعّف**) الذي يعني تشديد الحرف مثل (صلّ)"[42]، وكان الدكتور مدكور قد ذكر في موضع سابق أن "الخليل يفرق بين (**التضعيف**) مثل (صلّ) و(**المضاعف**) مثل (صلصلة)" [43]، ولاحظ هنا أيضا أن مصطلح (مُضعّف) غير (التضعيف)، فلم يرد عن الخليل مصطلح "المضعف" إنما ورد "التضعيف" مركبا بالإضافة في قوله: "والعرب تشتق في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي **المثقل بحرفي التضعيف**، ومن الثلاثي المعتل"[44].

---

(39) السابق، 1/ 56.

(40) السابق، 1/ 57.

(41) السابق، 1/ 56.

(42) د. عمرو محمد فرج مدكور 2011: مرجع سابق، ص71.

(43) السابق ص59.

(44) الخليل بن أحمد الفراهيدي: السابق، 1/ 56.

ولاحظ في السياق الأخير مصطلح (**المثقل**) الذي ورد وصفا لبناء الثلاثي، إذ جعله الدكتور قدور أيضا ضمن المصطلحات الصوتية، ولم يثبته الدكتور اليعبودي لا في المصطلحات الصوتية ولا في الصرفية، وأثبت منه (**ثقل**) ضمن المصطلحات الصوتية بينما أثبت طلمون "ثقل واستثقل [صوتي]، وثقل [خلاف خفف في شكل الحروف]" ضمن عشرة مواضع من الكتاب لم أحص منها غير تسعة فقط، وكان طلمون قد أثبته في مواضع أخرى غير المقدمة، وأرجح أن هذا المصطلح ينتمي إلى أكثر من مجال واحد؛ فهو صوتي، وصرفي، وحكم من الأحكام المعيارية؛ كما يتضح من سياقاته التالية إذ ورد عن الخليل:

- الدعابة من المزاح والمضاحكة ... تقول يدعب دعبا إذا قال قولا يستملح. قال:

واستطربتْ ظُعنُهُم لمّا احزألّ بهم *** مع الضحى ناشطٌ من داعبات ددِ.

رواه الخليل بالباء ... ويروى: داعب ددد، يجعله نعتا للداعب ويكسعه بدال ثالثة ليتم النعت ... **فإذا اشتقوا منه فعلا** أدخلوا بين الدالين همزة **لتستمر طريقة الفعل، ولئلا تثقل الدالات إذا اجتمعن** .... وإنما حكى جرسا يشبه ببب **فلم يستقم في التصريف** إلا كذلك"[45].

- في تعريف اللفيف قال الخليل: أن تلف الحرف بالحرف أي تدغم، لأن العي أصله العوي، **فاستثقلوا** إظهار الواو مع الياء المتحركة فحولوها ياء وأدغموها فيها[46].

- الحُزْن والحَزَن لغتان إذا **ثقلوا فتحوا** وإذا ضمُوا خففوا يقال: أصابه حَزَن شديد وحُزْن شديد، ويقال حَزَنني الأمر [يَحزُنُني فأنا محزون] وأحزنني [فأنا مُحزَن وهو مُحزِن]، لغتان أيضا، ولا يقال: حازن[47].

(45) السابق، 2/ 51.

(46) السابق، 2/ 270.

(47) السابق، 3/ 160.

- وكل حرف أداة جعلت فيه ألفا ولاما صار اسما فقُوِّى **وثُقِّل**. وإذا جاءت الحروف اللينة في كلمة، مثل لو وأشباهها **ثُقِّلت**، لأن الحرف اللين خوار أجوف لابد له من حشو يقوى به إذا جعل اسما[48].
- وصارت الواو في يخاف ألفا لأنه على بناء عمِل يعمَل فألقوا الواو **استثقالا**[49].
- وحد تأليف الخاء مع الهمزة : (الأخ) وكان أصل تأليف بنائه على بناء فَعَلٌ بثلاث حركات، وكذلك (الأب) **فاستثقلوا** ذلك[50].
- وقرئ (ظِلتَ عليه، فمن فتح فالأصل فيه ظللت عليه، ولكن اللام حذفت **لثقل** التضعيف والكسر[51].
- العرب **تستثقل** التقاء همزتين في كلمة واحدة[52].
- لا يقال اؤمر ... إنما يقال: مر في الابتداء بالأمر، استثقالا للضمتين، فإذا تقدم قبل الكلام واو أو فاء قلت: وأمر[53].

ومعنى ما سبق أن مسرد الدكتور قدور يعاني من مشكلات في إحصاء المصطلحات، ومن تسجيل تعبيرات لا علاقة لها بمجال الأصوات مثل: "يفتح فاه [بالألف]" و"ذاقها [أي الحروف]".

5 - كشاف الاصطلاحات اللغوية الواردة في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي

إذا كان محور اهتمام الدكتور قدور في مسرده هو المصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة العين، باشتمالها حسب تقييمه على أغلب المصطلحات الصوتية

(48) السابق، 3/ 352.

(49) السابق، 4/ 312.

(50) السابق، 4/ 319.

(51) السابق، 8/ 149.

(52) السابق، 8/ 202.

(53) السابق، 8/ 297.

التأسيسية، فإن هدف هذا الكشاف يتمحور في جرد المصطلح اللغوي الخليلي على كافة المستويات، كما ذكرت سابقا؛ ولكن ما يلفت انتباهك أن الدكتور اليعبودي بدأه بالنص على أنه "سيجمع بين **المصطلحات النحوية ومسميات اللغة الواصفة لها**، نظرا لتزامن تأليف كتاب العين مع المراحل الأولى من نشأة النحو العربي التي تميزت بتأرجح المفهوم النحوي بين عدة تسميات،"(54) فيخيل إليك أنه مقتصر على هذا الصنف من المصطلحات دون غيره مثلما فعل "طلمون"، وربما يكون السبب وراء هذا متعلقا بقضية استقصائية شغلت صاحبه، هي العلاقة بين المصطلح الخليلي وتطوره في ثنايا كتاب سيبويه، فعاد في تقديمه إلى القول مرة ثانية بأن جرد هذه المصطلحات "حجة على مدى تطور علم النحو ومصطلحاته خلال عصر الخليل ... خصوصا إذا علمنا أن تدوينه تم قبل تصنيف كتاب سيبويه، مما يجعل أثر الخليل شاهدا على طبيعة المصطلح اللغوي في مرحلة من مراحل العربية اتسمت بضياع مجمع تصانيف النحو واللغة"(55)، وهذا كلام مقبول أضيف إليه كلام الدكتور حسن حمزة من أن "وجود مصطلح ما في التراث النحوي العربي عند متقدمي النحاة ومتأخريهم لا يعني بالضرورة أن المفهوم الذي جاء هذا المصطلح تعبيرا عنه واحد عندهم"(56) وقوله: إن "ملاحقة تطور مصطلحات النحو العربي وغيرها من مصطلحات هذا التراث لا تكون برصد المصطلحات التي ماتت والمصطلحات التي ولدت فحسب، بل تكون برصد أثر هذا الموت وتلك الولادة على المصطلحات الباقية التي تبدو في ظاهرها كأنها ثابتة لا تغيير فيها"(57).

ومما يميز الكشاف الذي وضعه الدكتور اليعبودي اشتماله على العدد الأكبر من مصطلحات الخليل المرصودة، فقد جمع حوالي 568 مصطلحا إذا

(54) د. مجلة مصطلحيات، العدد العاشر، (فاس: مقاربات للنشر والصناعات الثقافية)، ص69.

(55) السابق، ص70.

(56) د. حسن حمزة 2006: في تطور المصطلح النحوي العربي، مجلة علوم اللغة، المجلد التاسع، العدد الأول، (القاهرة: دار غريب) ص29.

(57) السابق، ص 28، 29.

استثنينا عدد المصطلحات الخاصة بالأبنية (185)، كما قام الدكتور اليعبودي بتوزيع هذه المصطلحات وتصنيفها ضمن المباحث الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية (الدلالية) ومصطلحات فقه اللغة والأحكام المعيارية، مرتبا إياها ترتيبا أبجديا.

على أية حال يبدو أن استقصاء جميع مواضع المصطلحات لم يكن من بين اهتمامات الدكتور اليعبودي، ذلك أنك تجد العمود الثالث من كشافه الخاص بالتوثيق يكتفي فقط بتسجيل موضع أو اثنين على الأكثر، وذلك بالنسبة إلى جميع المصطلحات؛ وتلاحظ أيضا أن بعض المصطلحات سجلت ضمن مواضع متأخرة من الكتاب، والأصل أنها وردت في مواضع متقدمة، فمصطلح "حيز" على سبيل المثال تم تسجيله مرة واحدة ضمن الصفحة 421 من المجلد الثامن رغم أنه ورد في المجلد الأول، وضمن مقدمة الكتاب في عدة من المواضع؛ وهناك أيضا تسجيل لمواضع لم ترد فيها المصطلحات، فالمصطلح "قياس" مثلا لم يرد في المجلد الأول ص 133.

من جهة أخرى قد يختصر الكشاف ألفاظ المصطلحات في مصطلح وحيد هو الأشهر والمألوف، ولا يوزع ألفاظه على مواضعها، ومثال هذا مصطلح "التخفيف" رقم 35 في المصطلحات الصوتية؛ إذ وردت ألفاظ هذا المصطلح على الصيغ (خفَّفَ، خُفِّف، مُخفَّف، تخفيف)[58]، وورد أيضا بلفظ "يُخفَّف"[59]. وكان من قبل قد أثبت الكشاف مصطلح "ألين" رقم 22، و"حرف ليّن" رقم 59، و"لينها" رقم 136، ولم يختصرها في مصطلح وحيد، ومن هنا فإن عدم التزام نسق واحد في تسجيل المصطلحات قد يؤدي إلى ضياع كثير منها.

ومما يضاف إلى ميزات عمل الدكتور اليعبودي أنه حاول بالفعل الفصل بين مصطلحات أقسام كشافه؛ فمصطلح "القياس" ورد ضمن المصطلحات الصرفية مشارا إلى موضعه بـ 55/1، وضمن المصطلحات النحوية بالموضع

(58) الخليل بن أحمد الفراهيدي: السابق، 6/ 296.

(59) السابق، 4/ 245.

143/1 من الكتاب، وهذا معناه أن العمل قام على محاولة الميز بين مفاهيم المصطلح الواحد اعتمادا على سياقاته، فالصرفي منهما ورد في قول الخليل: "ولو كان الهعخع من الحكاية لجاز في قياس بناء تأليف العرب"[60] وورد الثاني في قوله: "القواعد: أساس البيت، الواحدة (قاعد) وقياسه (قاعدة) بالهاء"[61]، وإن كان الموضع الأخير قد يتردد بين النحو والصرف.

خاتمة

الحقيقة أن هذه الأعمال الثلاث كانت أمام عمل كبير – ككتاب العين – يحتاج تسجيل جميع مصطلحاته وسرد سياقاتها والتمييز بين مفاهيمها إلى تضافر جهود مؤسساتية؛ إذ لا يقوى عليه فرد أو اثنان، وبالتالي تمثل هذه الأعمال نواة لا بأس بها لعمل أكبر وأشمل لابد أن يستعان عليه ويتوسل إليه بما تقدمه التقانة الحديثة من سبل حوسبية وأدوات برنامجية، ولا أحسب هذه الورقة إلا مجرد تنبيه على أهمية مثل ذلك العمل الذي ربما يقوم على أساسه –ليس فقط بناء معجم تاريخي للمصطلحات اللغوية– بل عدد غير قليل من البحوث والدراسات المصطلحية، ليفتح آفاقا جديدة في قراءة التراث اللغوي العربي وتحليل مصادره بشكل دقيق.

(60) السابق، 1/ 55.

(61) السابق، 1/ 143.

المصادر والمراجع

الخليل بن أحمد الفراهيدي:

كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال: سلسلة المعاجم والفهارس) بدون طبعة أو تاريخ.

د. أحمد محمد قدور 2001:

اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، (بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر) الطبعة الأولى.

– – – – – 2003 [1998]:

أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، (دمشق: دار الفكر) الطبعة الثانية.

د. حسن حمزة 2006:

في تطور المصطلح النحوي العربي، مجلة علوم اللغة، المجلد التاسع، العدد الأول، (القاهرة: دار غريب)، ص16: 36.

د. خالد اليعبودي 2018:

كشاف الاصطلاحات اللغوية الواردة في كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، مجلة مصطلحيات، العدد العاشر، (فاس: مقاربات للنشر والصناعات الثقافية)، ص69: 108.

رافي طلمون 1984:

التفكير النحوي قبل كتاب سيبويه – دراسة في تأريخ المصطلح النحوي العربي، مجلة الكرمل: أبحاث في اللغة والأدب، العدد الخامس، ص37: 53.

د. عمرو محمد فرج مدكور 2011:

المصطلح الصوتي في معجم العين للخليل بن أحمد، مجلة علوم اللغة، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، (القاهرة: دار غريب)، ص9: 85.

Gérard Troupeau 1976:

Lexique-index du Kitab de Sibawayhi. Paris: Editions Klincksieck.

Naphtali Kinberg 1996:

A Lexicon of Al-Farra's Terminology in his Qur'an Commentary. E. J. Brill.

Rafael Talmon 1997:

Arabic Grammar in its Formative Age: Kitab al-'Ayn and its Attribution to Halil b. Ahmad. Brill.